ألمانيا... الدولة الرائدة

وأثنى عشر عاماً من الوحدة

تتزامن ذكرى الوحدة الألمانية هذا العام مع أجراء الانتخابات العامة على منصب المستشارية والتى تمت فى جو يعكس الديمقراطية والحرية التى يتمتع بها الشعب الألمانى والذى تعود على أن التغيير فى القيادة الحزبية للحكومة ليس من شأنه أن يؤتى بتغييرات سياسية بقدر تأثيره على المتغيرات الاقتصادية بدءاً من سوق العمل والعمالة - التوزيع العادل للثروات وكذا السياسة التعليمية وسوق الخدمات الصحية . وقد انتهى الآن عهد توجيه الأسئلة بخصوص الوحدة الألمانية أو الخوض فى نقاشات حول مدى ودرجة نجاحها أو عكس ذلك والبحث عن المقياس المناسب وأن تعددت المقاييس أو ما يتطرق لذلك من بحث فى كلفته من أموال طائلة للنهوض بالقسم الشرقى من البلاد والأسئلة تدور الآن حول دور ألمانيا الرائد والمتجدد اقتصادياً وسياسياً سواء فى إطار الوحدة الأوروبية أو على المستوى الألمانى العام .

الكاتب:
دكتور مهندس/ نادر رياض
رجل صناعة
رئيس لجنة الصناعة بالغرفة الألمانية العربية للصناعة والتجارة
مستشار لجنة الصناعة والطاقة بمجلس الشعب

فى داخل الوحدة الأوروبية اضطلعت ألمانيا بدور رئيسى فى المناقشات التى أدت إلى القيام بخطوات حاسمة لإعادة تطوير الجهاز الإدارى والذى بدأ قبل إن تصبح الوحدة الأوروبية حقيقة واقعة. وتعد ألمانيا أكثر دول الوحدة الأوروبية تأثيرا وتأثراً بمشاكل الشرق الأوسط بحكم الثقة التى توليها لها الدول العربية من ناحية وحجم تعاملاتها الاقتصادية مع هذه الدول من ناحية أخرى. وبالإضافة إلى ذلك فقد نالت ألمانيا مكاسب معنوية على النطاق العربى بسبب مشاركتها عسكريا فى كوسوفو مما ساعد على احتواء الموقف المتفجر والوصول به إلى وضع متوازن ومستقر.

هذا من ناحية السياسة الخارجية لألمانيا الموحدة، أما فيما يتعلق بالإنجازات فى الداخل فلاشك فى أن الوحدة الألمانية وبعد مرور هذه السنوات قد استقرت وأصبحت تقف على أرض صلبة. وكما يقول بعض المحللين "رب ضارة نافعة"، فقد جاءت الفيضانات الأخيرة لتساعد على تقوية التعاون والتضامن بين الشرق والغرب الألمانى. فمن المعروف أن الجزء الشرقى من ألمانيا كان ينظر له على أنه الطفل اليتيم فى الأسرة الألمانية. ولكن مجئ الفيضانات فرض التدخل الحاسم والذى أدى الى التغيير من هذا الوضع. فكما يقول رئيس الصليب الأحمر، وهى الهيئة التى تحملت المسئولية الأكبر فى عمليات مواجهة آثار الفيضانات "أن المشاعر التى صاحبت عمليات الإنقاذ والانتشال كان من شأنها تقوية الأواصر القديمة التى باعدت عوامل الفرقة والغربة والتقسيم من أواصرها على مدى خمسين عاماً مستمرة، حيث أدت عمليات الإنقاذ والتدخل السريع والجهود الجادة والمخلصة من ترسخ الوحدة الوطنية الألمانية لتصبح حقيقة ثابتة وان كان قد علاها التراب زمناً طويلاً ".

والواقع أن كارثة الفيضانات نفسها تعكس مفهوم وحدة شرق ألمانيا وغربه فقد بدأت فى بافاريا فى الغرب ثم امتدت إلى الشرق ضاربه إقليم ساكسونيا بما فيها من تراث ثقافى قديم متركز من عاصمتها درسدن، ثم اتجهت بعد ذلك شمالاً. وتعد هذه الفيضانات أكبر كارثة طبيعية من حيث الحجم احاقت بألمانيا على الإطلاق. وتبلغ ميزانية التعويضات التى رصدت لمساعدة المتضررين وإزالة آثار الفيضانات ما قيمتها ١,٦ مليار يورو ينفق منها هذا العام ٥٠٠ مليون يورو، ويرحل الباقى لميزانية العام القادم، وقد قررت الحكومة توفير هذه التكاليف الضخمة عن طريق تمويلها من أرباح واحتياطات البنك المركزى الألمانى.

وعلى صعيد التنظيم والإدارة فقد تميزت ألمانيا دوماً بتقدم نظم الإدارة فيها ولكن برغم من ذلك فقد بادرت الحكومة باتخاذ خطوات جديدة للتطوير أهمها ما قدمته الحكومة مؤخراً من برنامج بعنوان "حكومة حديثه = إدارة حديثة " ويهدف هذا البرنامج إلى وضع جميع الخدمات الحكومية وتبلغ ٣٧٦ خدمة على الإنترنت مما سيؤدى إلى زيادة معدلات الأداء والكفاءة بمقياس التكلفة والعائد المادى ويهبط بمعدلات الفاقد من الوقت والطاقة والجهد المنفق فى اقتضاء خدمات حكومية إلى مستوى متميز لم يسبق الوصول إليه من قبل.

وبالإضافة إلى ذلك وبالتوازى معه فقد أصدر البرلمان الألمانى مجموعة تشريعات تحت مسمى "قانون الشفافية" وهو ميثاق شرف يعتبر بمثابة دليل إجراءات للشركات الكبرى يضم المستويات السلوكية التى عليها ان تنهجها. وقد تزامن هذا مع صدور كتاب له وزنه بقلم هانز اولاف هنكل الرئيس السابق لاتحاد الصناعات والعضو البارز لحزب SPD الذى يرأسه شرويدر بعنوان "أخلاقيات النجاح" يعدد منها أهمية القنوات الفكرية والمناهج السلوكية التى على المجتمع الراقى أن يسلكها على مستوياته المختلفة سواء كان ذلك على مستوى الفرد أو المؤسسة الخاصة أو العامة أو حتى على المستوى الحزبى و الحكومى.

كما انه من اهم الموضوعات التى نالت اهتمام الحكومة ما يتعلق بقانون الهجرة والجنسية والذى صدر فى مارس الماضى والذى يعالج مشاكل الهجرة والجنسية، اذ انه من المعروف أن ألمانيا تعتبر من أكثر دول العالم الأوربية قبولاً للمهاجرين الذين وصلت أعدادهم إلى الملايين من بلاد مختلفة، ومما يذكر فى هذا المجال إنه يوجد بألمانيا ٧,٣ مليون من غير الألمان منهم ٢,١ مليون تركى، يأتى بعدهم الصرب ويبلغ عددهم ٧٢١ ألفاً ثم الإيطاليون ويبلغون حوالى ٦٠٠ ألفاً، بخلاف الجنسيات الأخرى. ويهدف القانون الجديد إلى ربط قبول المهاجرين باحتياجات الصناعة وبسوق العمل وذلك بتنظيم دخول العمالة الأجنبية وفى نفس الوقت اتخاذ الخطوات اللازمة لكى يندمج هؤلاء المهاجرين فى المجتمع الألمانى فى يسر وسلامة دون الانزلاق لظاهرة التحزب المنغلق فى صوره جيتو أو أكثر داخل المجتمع الألمانى، وبالإضافة إلى ذلك فأن القانون يضع أسس خاصة تقلل من مشاكل المهاجرين وبجمع شمل العائلات وكذا وقبول المهاجرين لأسباب إنسانية.

ولقد ذهبت الحكومة الألمانية إلى ابعد من ذلك وحاولت أن تعالج موضوع "حوار الثقافات" بحكم أن ألمانيا أصبحت على النطاق العملى من الدول متعددة الثقافات حيث نظمت الحكومة ندوات ومؤتمرات منها على سبيل المثال الحوار العربى الألمانى الذى بدأ عام ١٩٩٧ واستمر حتى الآن وكان آخر حوار قد عقد هذا العام فى القاهرة بالتعاون مع جامعة الدول العربية.

وتتلخص سياسة ألمانيا تجاه حوار الثقافات فيما قاله اثنان من الزعماء الألمان فقد قال رئيس ألمانيا السيد يوهانز راو أننا نطالب بتحالف عالمى يوجه ضد الجوع والفقر ونحن نطالب باحترام كرامة الهويات المختلفة من أعضاء الثقافات الأخرى والديانات الأخرى. ولهذا السبب فأنه من الضرورى إجراء حوار بين الثقافات والأديان المختلفة إذ إنه من المطلوب الحفاظ على الهويات الثقافية فى عصر العولمة إذ لا يجب أن تذوب بعضها مع البعض.

أما ولفجانج فيرز رئيس البرلمان الفيدرالى فإنه يقول فى مقال طويل. لا يوجد ما يسمى بثقافة أو ديانة معادية. اذ أن النقص فى المعرفة والإلمام بالأديان الأخرى يوفر أرضاً خصبة للانحيازات والتحريات والتعصب ويخلق بيئة للأعمال المعادية من جميع الأطراف.

أخيراً وليس آخراً، فأنه يذكر للدولة الألمانية بالإعجاب والتقدير إنها كانت الدولة الأعلى صوتاً داخل المجموعة الأوروبية والبادئة بكسر الجمود الذى سعى إليه التوجه الأمريكى فى الحصول على مباركه أوروبية لبدء حرب ضد العراق بجر الدول الأوروبية للمشاركة فيها. فقد قالها شرويدر واضحة لا تقبل اللبس وأكدها منافسه شتوبير عندما أعلن رفضه للمشاركة فى الحرب العراقية المحتملة بل وأعلن معارضته لقيام تلك الحرب أساساً والتى ستدور رحاها على أبواب أوروبا لتزيد من تباعد الشرق عن الغرب فى وقت تشتد الحاجة أكثر من أى وقت مضى للتقريب بين العالم شرقه وغربة، حيث كان لألمانيا المبادرة التى تذكر لها من إرساء لمفهوم الشراكة الألمانية مع دول الشرق الأوسط والتى تحولت فيما بعد لبرنامج الشراكة الأوروبية الشرق أوسطية والشراكة الأوروبية البحرمتوسطيه.

ورغم أننا نرى إن سفينة الصداقة المصرية الألمانية هى الأقدم والأكثر ثباتاً عبر العصور فى بحر العلاقات العربية الألمانية - ورغم ما استجد من العواصف والأنواء التى أتت بها أحداث ١١ سبتمبر وتوابعها من تداعيات، ألا إننا على ثقة ان لهذه السفينة ما يرسخها ويشد من أزرها رغم ما يكتنف بحر العلاقات الدولية من أنواء وتشابكات يعلوا ضجيجها الآن، إلا أن هذه السفينة ستبقى آمنة رغم سوء الأحوال الملاحية بفضل الرعاية الجيدة التى تكفلها لها كل من مصر وألمانيا بنفس القدر من الحرص والفهم والقدرة على استقراء الأحداث.